اختلاف الرؤية في التعامل مع موضوع العلاقة الزوجية، فيوغل في فرديته وذاتيته وكرمه الزائف، وتذهب المرأة في اغترابها المستمر: «ولم تعد مع هذه الاوراق التي تغطي سريرها فتختنق إنسانيتها اكثر من جثة، كأية جثة يدفع لها ثمن»(١٠).

تعالج الكاتبة، في قصة «القارة البكر»، اوهام الفروسية الشرقية وخيالات الغزو والفتح، فـ«الذكر» فاتح، مكتشف، يبحث باستمرار عن «قارته العذراء» التي لم يطأها انسان قبله، وإن ساوره الشك في عذرية ارضه، فإنه لا يلبث ان يهجرها باحثاً عن ارض جديدة. يعطي الرجل في منطق الرجولة ذاته الحق في «التجريب والاختيار» ويمنع عن المرأة كل حقّ نظير. وإذا حلّلنا هذا المنطق، نجد ان حرية الرجل تدخل في دائرة البداهة، اما حرية المرأة فتُمنع امام المحرّمات والشرف. اكثر من ذلك، فإن الرجل يمارس إزاء المرأة «أناه» الكبيرة، ويلغي كل «أنا» خاصة بالمرأة، بل يطلب منها ضرورة الإلغاء الذاتي للأنا، وفي ذلك، فإنه يطلب من المرأة ضرورة الامتثال، وضرورة احترام «عواطفه وكرامته»، في الوقت الذي يرفض فيه كل بعد إنساني للمرأة، ويحيلها إلى مجرد موضوع للمتعة والطاعة والقمع. وتقترب سميرة في معالجتها القصصية هذه من موضوع ادّعاءات الرجل الزائفة حول تحرير المرأة، إذ انه في ادّعائه لا يرى إلا حريته الفردية وحقه الذاتي في استباحة المرأة.

الفلسطيني والوجود الناقص

لم يحتل الوضع الفلسطيني مساحة متميّزة في كتابة سميرة عزام القصصية، بل ظل هذا الوضع هامشياً، او حيّزاً محدوداً في مساحة الكتابة. فنحن لا نعثر، في مجموعات قصصية خمس، إلا على ست قصص وحزمة من الاسطر العاطفية، والقصص هي: «زغاريد، لانه يحبهم، فلسطيني، في الطريق إلى برك سليمان، خبز الغداء، عام آخر». ومع ذلك، فإن الهامش الفلسطيني، في كتابة سميرة، لا يلبث ان يستقيم، ويستعيد دلالته، عندما تلمس القراءة المنظور الفكري الذي قاربت فيه سميرة العالم الذي كتبته. لقد كتبت سميرة عزام عالمها في منظور إنساني صريح، وفي رؤيا تلتزم الانسان وتعتمد تحريره، فكانت في إنكارها لعوالم القهر والاسى، ترفع راية المقهور، وتومىء في مساحة الراية إلى قهر الفلسطيني في غربته. فبداية الكتابة عند سميرة كمنتهاها، والبداية هو الانسان، والبداية والمنتهى هما تحريره، لهذا فإن الاسى الفلسطيني كان يذوب في لوحة القهر العام التي ترصدها الكتابة، بل ان صورة الفلسطيني لم تكن تستقيم في هامشيتها الظاهرية إلا عندما كانت تُرسم في المنظور الانساني العام. وعندما كانت الكاتبة تبتعد عن «الهم الانساني العام»، وتقترب من تخصيص الصورة في تاريخها، وفي الدرس السياسي لهذا التاريخ، فإن كتابتها القصصية سرعان ما كانت تشي بنشاز ما، او بانزياح معين عن منظور لا تعتدل كتابته إلا في حدوده.

وعلى الرغم من الحيّز المحدود الذي تطفو فيه صورة الفلسطيني صريحة، فإن سميرة عزام قد أعطت سلسلة لوحات عميقة في صدقها، وغنية في قولها الصامت والناطق، الذي يمسك بالجوهري، ويشير إلى قرار المأساة. وعندما نرسل هذا القول، فإننا